

الوطنية السودانية هي العربية والعروبة السودانية هي الاسلام

يعز علي ان يكون لقاؤنا بهذه المناسبة الأليمة،⁽¹⁾ مناسبة غياب قائد عربي من القادة الذين يتركون فراغا بغيابهم، ولم نكن نتوقع ان تنتهي حياة هذا المناضل والأخ العزيز بهذا الشكل المفاجيء بينما كنا نعلق الآمال الكبيرة على دوره في النضال الوطني والقومي، ولكنها إرادة الله، وليس لنا إلا ان نتأمل الحكمة في هذه الخاتمة لرفيقنا وأخينا المرحوم الشريف حسين المهدي.

هل هي خاتمة النضال؟ هل ستضعف نضالنا ونضال الحركة الوطنية في القطر السوداني العزيز، أم انها ستعطي أعمق وأروع معنى لحياة الفقيه الكبير، إذ تكون إنضاجا وتكثيفا للمعاني النضالية التي عاش من أجلها، فتعمل في النفوس وفي الأحداث اكثر مما لو كان حياً؟ وهي بهذا تعبر عن صدق نضال هذا القائد، لأن الموت اذا تأملناه هو النور الذي يشع على حياة الانسان ويضيؤها ويبرز أعمق معانيها ويعطيها الشكل المكتمل، لأن الانسان صاحب القيم الاخلاقية والنضالية لاتنتهي حياته بغيابه الجسدي بل تأخذ إشراقا وإشعاعا جديدا يعبر عن اعماق حقيقتها.

نحن نثق ونؤمن بأن النضال الذي عاشه الفقيه بكل صدق، بكل جوارحه، بكل مواهبه، هذا النضال سيستمر وسيقوى وإن هذه الرابطة التي أوجدها بين الحزب الاتحادي الديمقراطي في السودان وبين حزب البعث العربي الاشتراكي ليس في السودان فحسب وإنما الحزب القومي، هي إن وصفناها بالتحالف فهذا التعبير إصطلاحي سياسي لايرقى الى قوة تلك الرابطة التي اوجدها وساهم في ايجادها بما

(1) حديث مع وفد حزب الاتحاد الديمقراطي السوداني في ١٤ / ١ / ١٩٨٢.

وضعه من اخلاص في البحث وفي المسعى لتوحيد الجهود، ليس في نطاق سياسي محدود فقير، وإنما في إطار عربي قومي حضاري، هذا التحالف، هذه الرابطة الأخوية الصحيحة ستستمر وتقوى وتعمق وستكون روح الفقيه الشريف حسين الهندي حاضرة دوما تلهمنا وتوحي بالتفاؤل والثقة بالمستقبل والثقة بشعبنا الأصيل، بشعبنا العربي بكل أقطاره لأنه هو منبع الثقة ومنبع الايمان .

أيها الاخوة الاحياء

عندما التقيت ذلك اللقاء الذي لا ينسى مع الفقيه رجعت بالذاكرة إلى الاربعينات وذكرت له زيارة الوفد الاتحادي لسورية في ذلك الحين، ذكرت ذلك لأن السودان في تفكيرنا وفي قلوبنا، السودان موجود منذ بداية حركتنا له المكانة العزيزة، له الدور العربي، له الأصالة التي نتعش بها، فمنذ الأربعينات - وكانت حركتنا في بدايتها - كانت لنا هذه اللقاءات مع الاخوة المناضلين السودانيين ومنذ ذلك الحين كان ثمة أكثر من سبب وأكثر من رابطة تجمعنا بأولئك المناضلين، وتوجد هذا الجسر الفكري بين حركتنا وبين الحركة الوطنية في السودان، واننا كما نعرفون - لم نرد أن تكون حركتنا مجرد حركة سياسية، لاننا استلهمنا الشعب وفهمنا بأن فشل وتعثر الحركات والأحزاب السياسية في اقطارنا العربية كان مرده - في اكثره - الى أن هذه الاحزاب لم تكن لتروي ظمأ جماهيرنا، ظمأ شعبنا الأصيل . شعبنا ظامىء لهضة حضارية، شعبنا متهىء ليقظة روح الرسالة العربية فيه . هذا الشعب الذي لن ينسى تاريخه والذي عاش قبل قرون تلك الملاحم من البطولات ومن الانجازات الحضارية والأخلاقية التي خلقت للعالم بأسره مناخا ساميا جديدا، مناخا روحيا، هذا الشعب لا يرتضي العمل السياسي الاحترافي إن لم يجد أن له صلة بقيمه الروحية، بترائه الخالد ولا ندعي أننا أوجدنا شيئاً جديداً وإنما كل ما فعلناه أننا أصغينا لروح الشعب، التقطنا الصوت العميق لضمير الشعب، التطلع الصادق لجماهير أمتنا العربية لأنها تريد وتتوق الى نهضة شاملة وإلى حياة كاملة يسودها الانسجام ويختفي فيها التناقض، ولا تحقق تقدما في مجال على حساب قيمة اخرى عزيزة، لاتدخل العصر وتمتلك ادوات الحدائة على حساب تراثها وقيمها الروحية وماضيها وتاريخها، هذا التصور الذي هو

بسيط وغير معقد، ولم يكن يحتاج لأكثر من الحس الصادق والنفس الصافية . . المحبة للشعب والمحبة للأرض . وأعرف باننا نلتقي وإياكم على هذه الصورة، على هذا التصور بانكم أنتم ايضا تريدون وتعملون من أجل نهضة حقيقية ونهضة عميقة للانسان العربي في كل جوانب نفسه وشخصيته، في كل ملكاته، ان يكون الانسان العربي المكتمل الشخصية، المؤمن بدينه، بترائه، برسالة أمته وفي الوقت نفسه الانسان العصري المتحضر المسيطر على وسائل الرقي لكي يصمد في التنافس مع الدول والأمم القوية، ولكي يعطي ويعبر عن جوهر العروبة وقيمها الأخلاقية، ليس بالشكل السلبي شكل الشكوى والضعف، وانما بالشكل الايجابي من منطلق القوة والثقة بالنفس والقدرة على العطاء، وعندما أقول عروبة، تعرفون بأنني اقول الاسلام، ايضا، لابل أولا . العروبة وجدت قبل الاسلام، ولكن الاسلام هو الذي انضج عروبتنا وهو الذي أوصلها إلى الكمال، وهو الذي أوصلها الى العظمة وإلى الخلود، هو الذي جعل من القبائل العربية امة عربية عظيمة، امة عربية حضارية، فالاسلام كان وهو الآن وسيبقى روح العروبة، وسيبقى هو قيمها الانسانية والأخلاقية والاجتماعية . هذا هو الاخلاص للشعب، هذا هو حب الشعب، هذه الحقيقة . . صحيح أننا نصل اليها في المطالعة وفي قراءات التاريخ - ولكننا نصل اليها بصورة أعمق وأصدق عندما نقرب من شعبنا ونصغي الى دقات قلبه والى خلجات ضميره، الى هذا الترادف، هذا التمازج بين العروبة والاسلام .

العروبة أيها الاخوة ليست شيئا مختلفا عن الوطنية، وليست شيئا نرتقي إليه بعد الوطنية، وليست شيئا خارج حدود القطر، العروبة هي الوطنية، هي وطنية كل مواطن في أي قطر عربي إذا عرفنا كيف نقرأ نفس المواطن وكيف نكشف له عن حقيقة مشاعره وانتائه وتطلعاته، ولقد أراد الاستعمار الاجنبي واعداء الامة العربية الصهاينة والشعوبيون ومازالوا يحاولون أن يخلقوا تناقضات تضعف من قوة العرب وتعيق وحدتهم، فتارة الوطنية المحلية توضع في وجه العروبة، وتارة توضع العروبة في وجه الاسلام، وهكذا، فعندما يأتي ساسة منحرفون أو مرتبطون بالعمالة للأجنبي ويقولون مصر مصرية، يقصدون إبعادها عن العرب بهذا الالحاح على الهوية المصرية . نحن

نؤمن بأن الشعب المصري هو مصري بقدر ما هو عربي، وهو عربي بقدر ما هو مصري، ولا فرق بين مصريته وعرويته إذا عرفنا كيف نرفع عنه هذا التضييل الثقافي المهجين الدخيل الذي يسلطونه عليه منذ أكثر من قرن. ونحن إذا كنا نراقب ونصطدم أحيانا بمثل هذه التناقضات المصطنعة المفروضة في بعض الاقطار، فإننا مطمئنون إلى أنها في السودان غير واردة، فالوطنية السودانية هي العروبة بعينها والعروبة السودانية هي الاسلام في جوهره.

أنتم أيها الاخوة في بغداد. . في بغداد العرب التي تخوض منذ عام ونصف العام، حربا دفاعية تدافع فيها عن هذه القيم، تدافع فيها عن هذا التصور للنهضة العربية، تدفع عنها وعن سائر العرب وعن المستقبل العربي شر هجمة مفتعلة فيها كل الافتعال لايجاد تناقض بين العروبة والاسلام، لاضعاف العروبة في وقت يتكالب فيه الأعداء من كل صوب، الأمبريالية بكل ثقلها والصهيونية بكل شرورها على الامة العربية لتمزقها مزقا، ولتمزق الشخصية العربية، شخصية الانسان العربي، لتملأ نفسه بالتناقض، بالشكوك، لان يفقد ثقته بنفسه وبأتمته وبمستقبله ومستقبل أتمته، في هذا الوقت بالذات، يفتعلون معركة تقوم على خلق هذا التناقض وعلى هذا الادعاء، ولكن العراق، عراق البعث كان أهلا وجديراً بأن يرد عن أتمته كيد هذا الافتراء وهذا العدوان، كان مؤهلاً بالنهضة الحديثة التي بناها لنفسه بعد ثورة الحزب وفي الروح التي يستلهمها وفي العقيدة التي يهتدي بها، كان مؤهلاً أن يرد كيد الشعوبية الحاقدة التي لا تريد لأمتنا ان تنهض من جديد بالرسالة العربية، وأن يجسد العراق في هذه الحرب الدفاعية معالم المستقبل الذي يطمح إليه العرب، ومعالم الشخصية التي يطمح إليها الانسان العربي الجديد، فنحن أيها الاخوة نعرف بأننا داخلون ومنذ عشرات السنين في معركة قومية حضارية مع العقلية الاستعمارية والعقلية العنصرية والاطماع التوسعية التي مثلها الغرب الاستعماري واستخدم العنصرية الصهيونية كما استخدمته هي لتحقيق مآرب في مؤداها - تمزيق لأمتنا وتعويق لنهضتها إن لم يكن تأمرا على وجودها. فالمعركة الحضارية التي يجب أن نتهاها ونوطد أنفسنا لعشرات السنين كي نخرج منها منتصرين، إنها تتطلب هذا التصور الكامل الشمولي للمجتمع وللانسان لكي نستطيع

ان نلبي أعمق ما في قلوب جماهيرنا العربية من تطلعات، ونفجر أعمق ما تختزنه من طاقات، عندما ترى الصورة التي تحلم بها فانها تعطي بدون حساب، وأنا أكرر بانني مطمئن للقاء، للتلاقي الصميم بيننا وبين الحركة الوطنية السودانية والحزب الاتحادي الديمقراطي على هذا التصور للمستقبل العربي للانسان العربي الجديد، للمجتمع العربي، للحاضر العربي. كيف نخوض نضالا ناجحا؟ عندما نفهم حاجات الجماهير فهما عميقا، عندما نتجاوب مع هذه الحاجات المادية والروحية، عندما نعطي القدوة، عندما نجسد هذه الأفكار في صور حية، في قيادات النضال وفي أخلاقية النضال، عندما يحترم الانسان، عندما يطبق الديمقراطية الحققة، عندما يتنفس شعبنا من جديد، هواء الرسالة، جو الحضارة، جو النهضة الأصيلة، وكما قلت سوف يعطي في النضال وفي التضحية وفي الابداع اضعاف ما نطلبه منه والسلام عليكم.

١٤ كانون الثاني ١٩٨٢